الفلسفة البرجماتية وانعكاساتها على المنهج العلمي في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية؛ دراسة نقدية

إعداد

د. فوزيةبنت عبد المحسن العبدالكريم

أستاذ التربية الإسلامية المشارك بقسم أصول التربية

كلية التربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور

المجلد السادس عشر، العدد الرابع - الجزء الأول- لسنة 2024م

الفلسفة البرجماتية وانعكاساتها على المنهج العلمي في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية؛ دراسة نقدية

د. فوزية العبدالكريم

مستخلص البحث

هدف البحث إلى تحليل الفلسفة البرجماتية وآثارها على المنهج العلمي في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية. من خلال الدراسة النقدية بالكشف عن القصور في نظريات الفلسفة البرجماتية المتعلقة بالوجود، المعرفة، القيم، وأثرها على البحث العلمي في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية. واستخدم البحث المنهج الوصفي الوثائقي التحليلي، والمنهج الإستقرائي مستندًا إلى استقراء وتحليل الأدبيات الفلسفية ومصادر التربية الإسلامية. وقد توصل إلى العديد من النتائج أهمها: قصور الفلسفة البرجماتية عن تفسير الكون والمعرفة وهي تركز البرجماتية على النفعية المادية ورفض الدين والغيبيات، مما أدى إلى إهمال الأبعاد الروحية والثابتة، اختزال مفهوم الحقيقة على ما يخضع للتجربة والمنفعة، النظرة النسبية للحقائق والقيم مما يعيق التقدم العلمي والبحثي والحضاري ويحدث ازدواجية في المعايير والسلوك النفاقي في الأجيال، وقد أثرت البرجماتية سلبًا على البحث العلمي بانحسار مفهوم العلم والقوانين الطبيعية على المجالات والعلوم المادية فحسب وإخراج العلوم التي لا تخضع للتجربة المادية خارج دائرة العلم، والتركيز على العلوم والمناهج والأبحاث الطبيعية التطبيقية مما أدى إلى خلل في تكامل العلوم، وضعف الاهتمام بالأبحاث الأساسية والنظرية من الكتابة وأولويات النشر العلمي العالمي.

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة– البرجماتية–النفعية–الأساس العقدي للتربية الإسلامية.

Abstract

The study aimed to analyze pragmatism and its impact on the scientific method in light of the intellectual foundations of Islamic education. Using a critical approach, the research explored the limitations of pragmatist theories regarding ontology, epistemology, values, and their influence on scientific research within the framework of Islamic educational thought. The study employed a descriptive, documentary, and analytical methodology, supplemented by an inductive approach to analyze philosophical literature and Islamic educational sources.

Key findings revealed that pragmatism exhibits significant shortcomings in explaining the universe and knowledge, emphasizing material utility while rejecting religion and metaphysics. This focus neglects spiritual and fixed dimensions, reducing truth to experimental and utilitarian outcomes. Its relativistic perspective on truths and values hinders scientific, research, and civilizational progress, fostering duality in standards and hypocritical behaviors in future generations. Additionally, pragmatism negatively influenced scientific research by narrowing the concept of science and natural laws to material disciplines only, excluding non-empirical sciences. The emphasis on applied natural sciences led to an imbalance in scientific integration, weakening interest in foundational and theoretical research and deprioritizing its global publication. These issues underscore the need for a balanced approach to integrate spiritual, ethical, and comprehensive scientific perspectives in advancing knowledge.

Keywords :
Philosophy - Pragmatism - Science - Utilitarianism - Foundational Doctrine of Islamic Education

المقدمة:

تبحث الفلسفات المختلفة في القضايا الكلية والتساؤلات الكبرى وهي: قضية الوجود بمكوناته وقضية المعرفة، والقيم، وبحسب إجابتها عن هذا التساؤلات تتحدد معالمها ويبرز الفرق والاختلاف بينها. وهذا التفاوت والاختلاف يلقي بظلاله على جميع نواحي الحياة وأنشطتها، وعلى سلوك الفرد والمجتمع والساحة العلمية والبحثية بمجالاتها.

وقد شهدت الفلسفة الغربية الحديثة تحولات جوهرية أعادت تشكيل مفاهيم أساسية مثل الحقيقة، والديموقراطية، والنفعية، والمعرفة الحقة، ونسبية القيم، في محاولة لإعادة تأطير دور الإنسان في مواجهة التحديات الاجتماعية والتقنية من بين هذه التحولات.

وظهرت من تشعباتها الفلسفة البراغماتية في أواخر القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة عام 1870م كتقليد فلسفي على يد فلاسفة مثل تشارلز ساندرز، بيرس، ووليام جيمس، وجون ديوي. كأحد التيارات الفكرية الأكثر تأثيرًا، حيث ركزت على النتائج العملية كمعيار لصحة الأفكار، معتبرة أن القيم والمعرفة نسبية ومتغيرة تبعًا للظروف الاجتماعية والاقتصادية، وصفه بيرس في وقت لاحق في مقولته البراغماتية: "فكر في التأثيرات العملية للأدوات من خلال تصورك. ثم، فإن تصورك لهذه التأثيرات هو كل تصورك لتلك الأدوات." (رفاء حسن، 2021).

وهذا المنظور المثير للجدل انعكس على الحياة وخاصة في الحقول التربوية، حيث أصبح التركيز على النتائج العملية والتجربة ركيزة أساسية في تشكيل المناهج التعليمية.

فقد أظهرت الدراسات السابقة، مثل دراسة سالم (2016)، أن البراغماتية ساهمت في تغييرات في تاريخ الفكر التربوي، ومسار مناهج البحث، مما يعد تطوراً في بعض المجالات، ومع ذلك، كشفت دراسات أخرى، مثل دراسة أحمد (2017)، عن مخاطر التوجه البراغماتي فيما يتعلق بتأثيره على القيم والأسس الفلسفية ذات الطابع الميتافيزيقي، حيث ربطت بين تركيزه على حب الذات والمصلحة الشخصية وتعارضه مع القيم الأخلاقية والإيثارية في التربية الإسلامية. هذا التعارض يعكس فجوة فكرية وأخلاقية، لا سيما في سياق المجتمعات الإسلامية التي تعتمد على أسس تربوية دينية وثابتة.

وقد أصبحت البراغماتية، بفلسفتها النسبية والتي تركز على النتائج العملية والنفعية، أثارت جدلاً واسعاً في الفكر التربوي العالمي، بل وفي فلسفة العلم وتعريفه وموضوعه ومنهجه ونتائجه؛ وفي نسبية القيم؛ وهو ما يثير تساؤلات حول مدى مصداقيتها والمعيار الأخلاقي ومدى توافقها مع الأساس الفكري للتربية الإسلامية، الذي يرتكز على قيم مطلقة وحقيقة ثابتة لا تقبل الجدل كحقائق الوحي. يقول ديوى وهو أكبر روادها والأب الروحي عن منظوره عن القيم: " والقيم كصور السحاب – غير ثابتة والأشياء التي تضم القيم عرضه لكل مصادفات الوجود غير أنها سيان بالنسبة لميولنا وأذواقنا ". (الجلوى , 1995 , ص 644) .

فلها منظور متذبذب حول الوجود واعتباره ويؤكد ذلك أبو العينيين (2003، ص 317) بأن البرجماتية لا تعتبر هذا العالم يشكل بيئة إلا عندما يدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة في وظائف الحياة – أي عندما يخضع للتجربة والاختبار والنتائج العملية، وعلى هذا فهي ترى أنه لا فائدة من السعي خلف واقع نهائي ثابت وأن الخبرات العملية هي الواقعية الوحيدة الممكن معرفتها.

ويرى مبروك أن الحق عند البرجماتي لا يزيد أن يكون وسيلة لبلوغ الرضا والسرور، وانتقد هذا الفكر بقوله " والحق يفضل على الباطل عندما يرتبط كلاهما بموقف البحث عن أيهما أنفع أما إذا لم يرتبط بذلك فإن الحق يتساوى مع الباطل".(مبروك، 1410، ص164).

وتؤيد دراسة كل من حسين (2014)، ودراسة محمد (2019)، إلى القصور في معنى الحقيقية لدى الفلسفة البرجماتية ومجالها الضيق المحصور في الماديات وتوصي بضرورة التقييم النقدي لها لأثرها البالغ على العالم والمجتمعات. وتؤكد دراسة (سالم (1016) على تأثيرات الفلسفة البرجماتية في نظرية الحقيقة والقيم إلا أن ذلك يؤدي إلى إهمال المبادئ الثابتة والقيم الأساسية في المفاهيم التربوية، مما يحد من قدرتها على تقديم رؤية متكاملة.

ولم تقتصر الدراسات التي تشير إلى مظاهر القصور في الفلسفة البرجماتية على الدراسات الإسلامية والعربية فحسب، بل جاءت توصيات الدراسات الأجنبية السابقة كدراسة بيركوفسكي Berkovski (2023) بضرورة نقد الفلسفة البرجماتية وتصحيح المفاهيم القاصرة فيها والتي أثرت على السلوك حيث توصلت الدراسة إلى أن الفلسفة البراغماتية، بسبب تركيزها المفرط على

النتائج العملية، أدت إلى ظهور أجيال تتخذ مواقف نفاقية في السلوك الأخلاقي. وتؤيد دراسة هوكواي Hookway (2023) أهمية إعادة النظر في منظور الفلسفة البرجماتية للحياة من خلال الدراسات النقدية .

من هنا، تظهر الحاجة للدراسة النقدية لهذه الفلسفة من حيث مباحثها الأساسية في ضوء الأسس الفكرية للتربية الإسلامية. ورغم وجود عدد من الدراسات التي تناولت البراغماتية بالنقد، فإن معظمها ركز على أحد أبعادها، دون تقديم تحليل شامل يربط بين قضايا الوجود، والمعرفة، والقيم في ضوء الأساس الفكري لعلم التربية الإسلامية.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في السؤال الأساسي: ما الفلسفة البرجماتية وانعكاساتها على المنهج العلمي في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية؟ ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

أسئلة البحث:

1-ما نظرة الفلسفة البرجماتية لقضية الوجود في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية؟

2-ما نظرة الفلسفة البرجماتية لقضية المعرفة في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية؟

3-ما نظرة الفلسفة البرجماتية لقضية القيم في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية؟

4-ما انعكاسات الفلسفة البرجماتية على المنهج العلمي؟

أهداف البحث:

1-الكشف عن نظرة الفلسفة البرجماتية لقضية الوجود في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية.

2-الكشف عن نظرة الفلسفة البرجماتية لقضية المعرفة في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية.

3-الكشف عن نظرة الفلسفة البرجماتية لقضية القيم في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية.

4-التوصل إلى انعكاسات الفلسفة البرجماتية على المنهج العلمي .

أهمية البحث:

- الأهمية النظرية للبحث حيث يثري التخصص العلمي في فلسفة التربية والتربية الإسلامية وما يتعلق بالمقاربات النقدية.
- يسهم هذا البحث الباحثين في مجال الفلسفات والأصول الفكرية للتربية في تقديم أطر نظرية حول أهم القضايا الفلسفية
- وتتأكد الحاجة لدراسة الفلسفة البرجماتية لأمرين:
- الأول: تأثيرها على الفكر التربوي في العالم، وما لذلك من تأثير على العالم باعتبار الهيمنة للفلسفة البرجماتية الأمريكية على مجالات الحياة..
- الثاني: الجدل الذي تحدثه هذه الفلسفة والتداخل واللبس بين عض مفاهيم أفكار النفعية والديموقراطية البرجماتية والمفاهيم الإسلامية.

حدود البحث:

تتحدد حدود البحث الموضوعية في أهم مباحث الفلسفة البرجماتية: (الوجود ويشمل: العالم في الكون، الميتافيزيقا، الإنسان، الدين) والمعرفة، والقيم. وانعكاساتها على المنهج العلمي.

مصطلحات البحث:

الفلسفة البرجماتية: تُعرِّف موسوعة ستانفورد الفلسفية الفلسفة البراغماتية بأنها "تقليد فلسفي يؤكد أن معظم الموضوعات الفلسفية—مثل طبيعة المعرفة، اللغة، المفاهيم، المعنى، المعتقد، والعلوم، نظر إليها على أفضل وجه من حيث استخداماتها العملية ونجاحاتها"

(Stanford Encyclopedia of Philosophy, 2020)..

الأساس الفكري للتربية الإسلامية:

تربية الإسلامية ترتكز على أساس فكري شامل يتناول القضايا الكبرى المتعلقة بالوجود والمعرفة والقيم من منظور إسلامي، مستمدة من مصادرها الأساسية :القرآن الكريم والسنة النبوية.

منهجية البحث وإجراءاته:

استخدم البحث المنهج الوصفي الوثائقي التحليلي، والمنهج الاستقرائي.

الدراسات السابقة:

دراسة حسين (2014) بعنوان "مفهوم الحقيقة البرجماتية" هدفت إلى مناقشة مفهوم الحقيقة في الفلسفة البراغماتية ونقد فكرة أن الحقيقة نسبية ومتغيرة. اتبعت الدراسة منهجًا نقديًا تحليليًا يعتمد على دراسة الأدبيات الفلسفية المتعلقة بمفهوم الحقيقة، وتوصلت إلى أن البراغماتية تختزل الحقيقة في نجاح الفكرة عمليًا، مما يؤدي إلى إهمال الجانب اليقيني والنظري والمفاهيمي للحقيقة الذي لا يمكن التوصل إليه بالتجربة عملياً لعدك إمكان ذلك إدراكياً على الإنسان كالغيبيات والماضي الغابر وغيرها.

دراسة سالم (2016): نظرية الحقيقة البرجماتية وتأثيرها على الفكر التربوي، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل تأثير الفلسفة البراغماتية على الفكر التربوي الحديث، توصلت الدراسة إلى أن البراغماتية تساهم في تطوير مناهج التعليم من خلال التركيز على النتائج العملية وبناء المعرفة بشكل مرن، إلا أن ذلك يؤدي إلى إهمال المبادئ الثابتة والقيم الأساسية في المفاهيم التربوية، مما يحد من قدرتها على تقديم رؤية متكاملة.

دراسة أحمد (2017) بعنوان "حب الذات في الفلسفة البرجماتية: دراسة نقدية في ضوء التربية الإسلامية" هدفت إلى نقد مفهوم حب الذات في الفلسفة البراغماتية من منظور التربية الإسلامية، واستخدمت منهجًا نقديًا تحليليًا لدراسة تأثير البراغماتية على التربية والأخلاق. توصلت الدراسة إلى أن البراغماتية تركز على حب الذات والمصلحة الشخصية، مما يتعارض مع القيم الإسلامية التي تعزز الإيثار والتضحية.

دراسة سالم (2018) بعنوان "البراجماتية وموقفها من الميتافيزيقا" هدفت إلى تحليل موقف الفلسفة البراغماتية من الميتافيزيقا، واتخذت منهجًا نقديًا تحليليًا يقارن البراغماتية بالفلسفات الميتافيزيقية الأخرى. توصلت الدراسة إلى أن البراغماتية ترفض الميتافيزيقا لكونها لا تهتم بالقضايا التي لا يمكن التحقق منها عمليًا، مما يحد من قدرتها على تقديم فهم شامل للواقع والحقائق اليقينة في خارج نطاق التجربة.

دراسة محمد (2018): بعنوان الأبعاد الفلسفية للبرجماتية من خلال تحليل أفعال الكلام، استخدمت الدراسة المنهج النقدي التحليلي من خلال دراسة أفعال الكلام ونقد هذا المفهوم في

سياق الفلسفة البراغماتية، وتوصلت الدراسة إلى أن البراغماتية تُعنى بالذاتية، حيث تضع المعرفة المشتركة بين المتحدث والمستمع كعنصر محوري. رغم قوتها في التعامل مع التواصل البشري، إلا أنها تُنتقد لافتقارها إلى الدقة العلمية والتركيز على الفلسفة الذاتية، مما يجعلها محدودة في بعض التطبيقات العملية.

دراسة محمد (2019): بعنوان مفهوم الحقيقة لدى وليم جيمس في إطار الفلسفة البرجماتية وتأثيرها على الفكر الأمريكي، اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي لتحليل مفهوم الحقيقة وفقًا لويليام جيمس وكيفية تأثير هذا المفهوم على الفكر الأمريكي، أوضحت الدراسة أن الحقيقة في الفلسفة البراغماتية ليست ثابتة، بل تعتمد على النتائج العملية التي تحققها التجربة. تعكس هذه المرونة قدرة الفلسفة البراغماتية على التكيف مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية في الجوانب التطبيقية المحسوسة، مما جعلها مناسبة للتحولات التي شهدها المجتمع الأمريكي في أوائل القرن العشرين إلا أنها تفتقد إلى الإيمان المطلق بالحقائق الثابتة والمطلقة التي لا تنطبق عليها النتائج العملية.

دراسة بيركوفسكي Berkovski (2023) بعنوان "النقد الأخلاقي، النفاق، والبراغماتية" وهدفت هذه الدراسة إلى تحليل تأثير الفلسفة البراغماتية على النقد الأخلاقي ودورها في تعزيز مواقف نفاقيه إذا ما تم الاعتماد فقط على النتائج العملية دون مراعاة المبادئ الأخلاقية. اتبعت الدراسة منهجًا فلسفيًا نقديًا يعتمد على تحليل النصوص الفلسفية، وتوصلت إلى أن الفلسفة البراغماتية، بسبب تركيزها المفرط على النتائج العملية، يمكن أن تؤدي إلى ظهور مواقف نفاقية في السلوك الأخلاقي.

دراسة هوكواي Hookway (2023) بعنوان "البراغماتية ونظرية المراسلة"، هدفت هذه الدراسة إلى مقارنة الفلسفة البراغماتية بنظرية المراسلة فيما يتعلق بمفهوم الحقيقة. اعتمدت الدراسة على منهج نقدي تحليلي لدراسة الفروق بين الفلسفتين، خلصت الدراسة إلى أن الفلسفة البراغماتية تعجز عن تقديم تفسير شامل ومتماسك للحقيقة مقارنة بنظرية المراسلة، التي تعتبر أن الحقيقة تتطابق مع الواقع الثابت، بينما تعتمد البراغماتية على النتائج العملية التي يمكن أن تكون متغيرة وغير ثابتة.

الإطار النظري:

يتكون الإطار النظري من مباحث تشمل الخلفية العلمية للدراسة من خلال متغيراتها الأساسية. وهي:

الأساس الفكري للتربية الإسلامية:

ينبني هذا الأساس على الأساس العقدي للتربية الإسلامية من الإيمان بالله تعالى، ويتكون من مباحث تشكل التصورات عن القضايا الكبرى ويمكن من خلالها الإجابة عن التساؤلات الفلسفية المتعلقة بالوجود (عن الكون والإنسان والميتافيزيقا)، والمعرفة والقيم والحياة. وفيما يلي عرض لأهم مباحث هذا الأساس

أولاً: التصور الإسلامي للكون: يعرف الكون بأنه كل ما سوى الله، من سموات وأرض وهواء وماء وعوالم مخلوقة، وجعل الله عز وجل لهذا الكون نواميس وهي ما يعرف بالقوانين الطبيعية، فهو يسير وفق نظام دقيق تحت مشيئة الله، منها قانون التغير والتطور، وسنة الدرجية، والسببية، وغيرها من القوانين الفيزيائية والكيميائية والاجتماعية والنفسية أيضاً وقد بين الله للإنسان علاقته بهذا الكون وعرفه به فقد علم آدم أبو البشر الأسماء كلها ومنها ما في الكون، قال الله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}(سورة البقرة،31)، قال الحاكم عن ابن عباس: "هي الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، دابة، وسماء، وأرض، وسهل، وبحر، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها".(ابن كثير، 1419هـ،ج1،ص131).

وقد أشارت العبد الكريم (2020) لبعض الركائز المتعلقة بالتصور الإسلامي الفكري عن الكون وأهمها العلم: ذلك أن الله عز وجل علّم الإنسان ما يفيده وتجب معرفته عن الكون الذي يعيش فيه من السماء والأرض، وعلم سبحانه الإنسان أن الكون مسخر له بأمر الله وإرادته، فالتسخير هو أداة من أدوات أهلية الخلافة في الأرض مع الأدوات الأخرى، وبذلك فإن علاقة الإنسان بالكون هي علاقة تسخير وفق سنن ونواميس أودعها الله في الكون، فلا الإنسان إلاه للكون، ولا الكون إلاه للإنسان، وكل ذلك من مخلوقات الله، قال الله جل جلاله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ

بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: 32–34).

الكون مجال التدبر والتفكر والنشاط البشري: أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتفكر في الكون وتدبر ما يجري فيه لتحقيق غايتين: الأولى :الاستدلال من خلال نظامه على عظيم قدرته وجلال حكمته ووحدانيته في الخلق والأمر، والثانية :التعرف على سنن الله تعالى في هذا الكون لتسخيرها لمصالحه والاستفادة من الطاقات والقدرات المودعة فيه.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان سيد المخلوقات، وأنزل عليه رسالاته وهداه إلى طريقة التعامل مع الكون، وجعله ميدان نشاطه وسعيه، يقول جل وعلا :﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15).

إن الله سبحانه وتعالى ربط الوصول إلى الحقائق الكونية والطاقات المودعة فيه بالجهد البشري كسنة كونية فكل من بذل الجهد، وصبر على مشاق البحث، واسترشد بدلالات العقل وأفاد من تجارب الآخرين وصل إلى مبتغاه، ولن يحول معتقده دون الوصول إلى النتائج، يقول عز من قائل :﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾(الإسراء: 20).

التصور الإسلامي عن الإنسان:

يعد موضوع الإنسان من أهم الموضوعات التي بينها القرآن الكريم والسنة النبوية فهو محور التربية. والمعرفة عن الإنسان أيضًا هي أحد القضايا الفلسفية الكبرى، وفيما يلي عرض لأهم معالم التصور الإسلامي عن الإنسان في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما المصدران الأساسيان للتربية الإسلامية:

–الإنسان مخلوق لله: أوجده من عدم، فقد خلق آدم أبو البشر بيده من تراب وماء، ونفخ فيه من روحه، قال تعالى: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) (الحجر: 29). وقال سبحانه: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ}، (سورة السجدة:7).

–الإنسان مخلوق مكرم: مظاهر تكريم الإنسان جاءت واضحة جلية في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي على سبيل المثال لا الحصر، قال الله عز وجل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا} (سورة الإسراء: 70)، وقال الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم} (سورة التين: 4).

ومن مظاهر تكريم الإنسان أن الله سبحانه خلق آدم بيده، قال تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَ} (سورة ص: 75). وجعل الله الإنسان خليفة في الأرض وفي ذلك دلالة تشريف، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون}(سورة البقرة:30).

ومنح الله الإنسان العقل والتفكير عن سائر المخلوقات: وقد ورد العقل بصيغة الفعل في القرآن الكريم في (49) موضعاً. ولما أعطاه العقل وكلفه وجعله مسئولاً عن أفعاله وسيجازى عليها، اقتضى ذلك أن يمنح مساحة من الحرية في الاختيار قال تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن} (البلد:10)

وعلم الإنسان البيان وعلمه مالم يعلم: جعل الله للإنسان ملكات وقدرات ميزه بها فمنحه البيان وأنطقه باللغة، ليفصح بالكلام ويعبر عما في نفسه ويتعلم وينقل المعرفة ويؤمن ويعتقد فجعله قادراً على التعبير عن مشاعره وما في نفسه، قال الله جل جلاله: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن:1-4)،

وزود الله الإنسان بأدوات المعرفة: ليكون قادرًا على التعلم، فهذه الأدوات للعقل بمثابة النوافذ إلى العالم الخارجي ليتعلم، فأعطاه الله السمع، والبصر، والفؤاد (العقل)، قال تعالى: {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون} (النحل:78).

3-التصور الإسلامي للمعرفة:

تعد المعرفة في الإسلام أساساً من الأسس الفكرية العقدية، وتتجلى دلالة هذا الاهتمام في أن أول آية نزلت من كتاب الله تأمر بالقراءة، فهي أداة معرفته بربه، التي هي غاية المعرفة في الإسلام وعرفه بربه الذي أوجده، فقال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق}، ثم عرفه بأصله وتكوينه فقال {خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَق}، وبين لهذا الإنسان أن ربه الأكرم المتفضل بالنعم إن

نفعه هذا العلم لعبادة ربه فقال سبحانه: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم}. (سورة العلق: 1–4).

وتتميز المعرفة في التصور الإسلامي بمصادرها؛ فهي ربانية المصدر، والمنهج والغاية، وهذه الخاصية تفردت بها المعرفة في الإسلام عما سواها؛ حيث تقتصر المعرفة في الفلسفات الأخرى – غير الإسلامية– مثل مصادر المعرفة للفلسفة البرجماتية فهي تقتصر على مصدرين رئيسين هما: الحس والعقل، اللذان يشترك فيهما التصور الإسلامي للمعرفة أيضا فيتفق مع تلك الفلسفات على اعتبار كل من الحس والعقل مصدراً رئيساً من مصادر المعرفة في مجالات الحس والعقل، لكنه يفوق عليهما بمصدر يقيني مهيمن على الحس والعقل وهو (الوحي) المتمثل في القرآن الكريم كلام الله والسنة النبوية الصحيحة.

والوحي يستقل بمصدريته للمعرفة في مجال الغيبيات، ويشترك مع كل واحد من المصدرين الآخرَيْن في مجاله ويهيمن عليه فيه؛ فما جاء عن طريق الوحي مما ينتمي في موضوعه إلى أي من المجالين فهو الحكم والموجة والمرشد لتلك المعارف الحسية والعقلية في مجالاتها. (الزنيدي،1992م).

ويمكن القول أن المعرفة في الإسلام لا تنفصل عن التصور الإسلامي للإنسان والكون والوجود والحياة، وإنما تستند إليه وترتكز عليه. فهي مبنية على مسلَّمات عقديه منها: أن الله خالق كل شيء وإرادته ماضية في خلقه، وأنه ذو العلم المطلق، وأن القرآن الكريم كلام الله الحق، وأن محمداً رسول الله، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأن قوانين السببية جزء من النواميس الكونية التي سنها الله لتستقيم بها حياة الإنسان، وهي جزء من إرادة الله وتقديره وليست حداً لها؛ يقول الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (يس: 82).

وامتياز المنظور الإسلامي للمعرفة بتفسيره لغاية المعرفة؛ إذ إن غاية المعرفة في التربية الإسلامية معرفة الله، ومعرفة حق الله، ومعرفة كيفية أداء ذلك الحق وأداؤه فعلاً؛ وإن العلم بسنن الله في الأنفس والآفاق وحياة الأمم والمجتمعات يزيد في معرفة الإنسان لله، كما يزيد في قدرة الإنسان على الاستفادة من التسخير ومن ثم عمارة الأرض وفق منهج الله. وفي هذا بيان مكانة

العلم وأهمية المعرفة بالنسبة للمسلم فبها يعبد ربه ويقيم أمر الخلافة ويتبصر الكون ويعرف أسراره وقوانينه ليسخره في تحقيق أهداف ربانية سامية.

التصور عن الحياة: تقوم النظرة الإسلامية عن الحياة على الحقائق اليقينية المستمدة من الوحي عن الحياة، وقد علم الله الإنسان عن هذه الحياة بأنها:

- حياة دنيا هي ميدان عمل واختبار وهي زائلة، وحياة أخرى فيها الجزاء على العمل، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك:2)، وقال تعالى عن غاية وجود الإنسان في الحياة بعبادة الله: قال الله تعال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، (الذاريات: 56).

-بّين أن الحياة الآخرة هي المآل وهي الأبدية فينبغي أن يكون لها النصيب الأكبر من الاهتمام من قبل الإنسان يقول الله تعالى :﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77).

-أخبرنا أن الحياة الدنيا زينة ومتاع محدود قصير زائل ومباح بضوابط: ذلك أن الطبيعة البشرية تحب الزينة الحياة الدنيا فأباحها لهم، بشروط أن تكون مباحة، وأن لا تصدهم عن العمل للآخرة، والسعي إلى مرضاة الله عز وجل ، وفي ذلك متاع وترويح لهم في رحلة العمر الممتدة إلى الآخرة: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: 32).

-وجعل في الحياة سنن ونواميس منها سنن طبيعية وسنن في الأنفس والآفاق، وأخبر عنها سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران: 140)، ومنها سنن التغير، في قوله تعالى:(إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(الرعد:11)، والسببية والدرجية أي المرحلية قال الله تعالى:(لتركبن طبقاً عن طبق) (الانشقاق:19) لكل شيء من رحلة الإنسان: ولادة ونشأة، ثم موت وحياة برزخية ثم بعث بعد موت، ثم استقرار وخلود في الدارة الآخرة، والتدرج في النمو للكائنات والأحوال.

مناقشة الإجابة عن تساؤلات الدراسة:

أولاً: قضية الوجود ontology في الفلسفة البرجماتية:

1–الكون: تنظر البرجماتية أن الكون المادي كعالم يوجد في ذاته وليس مجرد إسقاط من جانب العقل، بيد أنهم يؤكدون أن العالم ليس دائماً ولا مستقلاً، متغير، ومفتوح، ومتعدد وذو معالم متطورة وحيث ترى أن التغير هو جوهر الحقيقة فأنها لا تثق في أن أي شيء يظل ثابتاً إلى الأبد. (مرسى ،1982، ص187) كما أكد ذلك كل من (بدران وآخرون، 2001)، (جعنيني ،2004، ص199)، (أبو العينين وآخرون ،2003). ودراسة محمد (2019)، وبذلك لا توجد حقائق ثابتة دائماً في هذا الكون.

ويؤكد حسان وآخرون (1981م) أن هذا العالم لدى البرجماتية ناقص وليس مكتمل وفي طور التكوين وينطوي على تغيرات عديدة واحتمالات كثيرة، وهو عالم ملئ بالمشكلات، ومن ثم يحتاج أن يكون الإنسان متفاعلاً مع هذا العالم، نشطاً، ويسعى جاهداً لحل مشكلاته، لذا تتصارع القوى والنظم الاجتماعية وتتعارض التيارات والاتجاهات، وتتباين الأفكار والآراء داخل البناء القيمي، بحسب نظرياته الاجتماعية.

وهذا ما جعل ديوى يؤكد على أن الفلسفة يجب أن تهتم بمشاكل الإنسان لأنه يعتقد أن الطبيعة غير مستقرة وليست ثابتة وبها مشاكل، وبذلك فإن فكرة التعدد في العالم تقدم للإنسان فرصاً للتغيير نحو الأفضل في مجتمعه، وتسمح له بالتكيف في ظروف بيئته المتغيرة، ويتمكن الإنسان من تجديد عالمه بتفاعله مع بيئته، ويؤيد ذلك أن ديوي (1916) يرى أيضاً أن الميزة الأساسية في الحياة هي التغير لأن الحياة في مثل هذا العالم المتطور المتغير باستمرار لا تعدو أن تكون عملية مستمرة من التكيف التجريبي للظروف المتغيرة المتجددة كما يتفق مع ما يذهب علماء الاجتماع من أن معدل سرعة هذا التطور في مظاهر الكون تختلف من مظهر لآخر. ويربط ديوي بين الخبرة والطبيعة وبذلك لا يمكن فصلها عن الطبيعة، فالطبيعة هي ما يمر به الإنسان من خبره فيجب أن ننظر إلى تجربتنا على أساس ارتباطها بالطبيعة. (أوزمون وكرافر، 2005، ص275)، و(الشيبانى، 1987). ويتفق مع هذه النتائج دراسة أحمد (2017).

ومن أوجه النقد في هذا الجانب يمكن القول بأن هذه النظرة للكون محصورة بالجانب المشهود المادي وانه غير مكتمل ويحتاج إلى التفاعل فهي نظرة قاصرة وفيها خلل، ويوجه لها النقد في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية من حيث أن الكون الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى فلم تخلق الطبيعة نفسها ولم يخلقه أحد، وخلقه الله كاملاً تاماً قال الله تعالى: (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور))(الملك:3)، ويشتمل على العالم الغيبي وليس مقتصراً على عالم الشهادة والمادة، وقد أودع الله في الكون نواميس وقوانين ليست صدفة ولا عبثاً، فهو يسير بنظام إلهي ومسخر للإنسان حتى يعمره طاعة لله ولا يفسد فيه بعد إصلاحه.

كما أن التغير الذي تراه البرجماتية فهو أمر بمشيئة الله وإرادته ولا ينسب للطبيعة. أما القول بأن التغير يقصد به أنه لا وجود لحقائق ثابتة ومستمرة فهذا خلل في التصور فثبات القوانين الكونية هو بأمر الله، وما فيها من تغير لا يعني الصراع الذي تقصده الفلسفة البرجماتية وهذا من أوجه النقد اعتبار الإنسان مالك متحكم وإله لهذا الكون وأن هناك صراعاً بينه وبين الكون فهذا يخالف الحقيقة بأن العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير لأجل إقامة أمر الله على الأرض.

الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة):

وهو ما يقابل عالم الغيب، وقبل الحديث عنه نتذكر موقفها من العالم المحسوس المادي للتمييز بين الموقفين؛ فقد تحدثنا آنفاً أن هذه الفلسفة تعتقد أن هناك عالم طبيعي في حالة وجود مستقل عن الكائن الحي، فهي تعترف بالعالم المادي عندما يخضع للتجربة أما ما يتعلق بعالم الغيبيات فهي خارج دائرة المحسوس والتجربة فهي ترفض الإيمان به كحقيقة ومعرفة، ويؤكد ذلك أبو العينيين (2003، ص 317) عن البرجماتية بأنها ترى أنه لا فائدة من السعي خلف واقع نهائي ثابت وأن الخبرات العملية هي الواقعية الوحيدة الممكن معرفتها.

كما أن مركز اهتمام البرجماتية وفقاً لرأي ديوي هو الطريقة وليس الأجوبة الغيبية، مبيناً موقفه الذرائعي الذي يبرر فيه رفض الميتافيزيقا والغيبيات التي لم يخضعها للتجربة المادية بناءاً على أساس الفكرة البرجماتية بأن الكون مفتوح النهاية، والوجود مشكوك فيه وغير ثابت فلا يمكن الوصول لحلول ثابتة ولا تحديد إجابات يقينية طويلة البقاء، فلا طائل ولا نفع من ذلك برأيه،

ومن وجهة نظره أنه بدلاً من ذلك يجب أن تؤخذ كل مشكلة كما نشأت ولكن ليس لكي نقول أن الإجابات ليست مهمة ولكن للتأكد بأنها وضعت على أساس حالات الحياة الحقيقية، ونتائج هذه الحقيقة أنه يجب أن ننظر إلى مكانة الأفكار على أساس نفعي ذرائعي ونحن نعرف أن الشيء حقيقي وزائف؛ على أساس ماذا يفعل. (ديوي، 1929)، (أوزمون وكرافر،2005 ، ص 280).

أذاً نخلص مما سبق إلى أن موقف البرجماتية من قضية العالم أنه عالم مادي متغير وغير ثابت ومتطور ومفتوح ومليء بالمشكلات، والإنسان متفاعل معه بالتجارب، ولا تعترف بما وراء الطبيعة فترفض الميتافيزيقا أو موقف شك يؤمن به بحسب المنفعة وليس على الإطلاق، وهذا يتفق مع ما توصلت له الدراسات السابقة مثل دراسة سالم (2018)، ودراسة حسين (2014) وهي بهذا تخالف الأساس الفكري للتربية الإسلامية التي تؤمن بالغيب بناء على ما جاء في المصادر الصحيحة من الوحي إيمانا بصفتها حقائق يقينية ثابتة غير خاضعة للتجربة.

3-(الإنسان) في الفلسفة البرجماتية:

نظرت البرجماتية إلى الإنسان ككل متكامل فلم يعترف بالفصل بين الجسم والعقل والروح وينظر إلى طبيعة الإنسان على أنها وحدة متكاملة، كما أن صفتي الجسمية والعقلية بالنسبة للطبيعة الإنسانية لا تعد وأن تكون صفتين لشيء واحد أو لحدث واحد فالإنسان جسمي وعقلي في آن واحد. (الشيباني، 1987). ووفقاً لديوي (1922) الذي يؤمن بمبدأ الواحدية ويرفض الثنائية ومبدأ الكثرة وتطبيقاً لمبدأ الوحدة بالنسبة إلى طبيعة الإنسان: بأن مبدأ الوحدة يتحقق بين الفرد والمجتمع وبين الإنسان والطبيعة فهو يرى أن " وحدة الطبيعة الإنسانية تبرز من خلال الاتصال الكامل والاعتماد المتبادل بين الفرد والمجتمع، وبين الإنسان والطبيعة ". فيجب أن تتناسب شخصيته وتفكيره مع ذلك العالم المتغير فيتفاعل معه ويعمل ليحل المشكلات بشكل ديناميكي، فهي بذلك ربطت بين الانسان وبيئته.

كما يرفض معظم البرجماتيين النظرية القائلة بأن الإنسان كائن روحاني فيما عدا وليم جيمس، كما يؤكدون أنه كائن معقد جداً ويؤكدون على الجانب الاجتماعي للطبيعة الإنسانية (بدران وآخرون ،1981م، ص 305) (جعنيني، 2004، ص 99) وركزت على الإنسان من جانب تفاعله مع البيئة والعالم المتغير المتعدد والمفتوح. (الشيبانى، 1987 ،341). وترى سارة

الجلوي (1995، ص 673، 674) أن الفلسفة البرجماتية تجعل الفكر شرط وحيد للوصول إلى كون أفضل. مما يؤكد أهمية الإنسان المفكر في الفلسفة البرجماتية لتحسين الكون والبيئة.

ويقول ديوي (1934) معبراً عن موقفه بتصوير موقف الإنسان مشيراً إلى أن البشر يتحركون بين طرفي نقيض فهم يتصورون أنفسهم على أنهم آلهة أو يخلقون آلهاً قوياً حاذقاً وحليفاً لهم ويلزم العالم بالخضوع لهم وتلبية رغباتهم ولكنهم عندما يفيقون من وهمهم يتبرءون من العالم الذي خيب أمالهم.

ومما سبق يمكن القول إن الفلسفة البرجماتية أقرت دور الإنسان الفعال في تغيير مجتمعه وأنه متفاعل مع العالم المادي فقط. وهو تفاعل المفرط في دور الأنسان في البيئة من حيث أنه متحكم بها مسيطر عليها لمصالحه الشخصية لا لأجل الإعمار وتحقيق أمر الله، ويتفق معها **دراسة أحمد (2017)**

وبالنظر لرأيهم في تأليه الإنسان لنفسه لدى البرجماتية، أو أنه يخلق له آلهة يصنعها بنفسه تمثل إنجازاته آو ماله أو أي رمز. فهذا تصور خطير وخاطئ في ضوء الأساس الفكري القائم على مصادر التربية الإسلامية فالكون ليس آلهة للإنسان ولا معبود، ولا الإنسان آلهة للكون ولا عبداً له بل العلاقة بينهما في التربية الإسلامية علاقة تسخير. فهي ترى أن الإنسان مستخلف في الأرض والكون وليس آلهة للكون ولا عبداً، ولا يخلق آلهته ليعبدها، وترى بتوازن بذل الإنسان في سعيه في مناشطه في العالم المادي على الحساب الأخروي. وإن كانت البرجماتية فيها الجوانب حقه من جانب أن متفاعل مع بيئته وأنه مفكر ولكن تخالف الإفراط في ذلك إلى حد التطرف فالإنسان بفكره ضعيف إن لم يستعن بربه وخالقه، كما أن التربية الإسلامية تحدد هذه العلاقة العضوية بأن الإنسان مستخلف في الكون لعمارة الأرض وعليه السعي والعمل للإصلاح والإعمار ولا يفسد فيها.

نظرة البرجماتية للدين:

يظهر للمتأمل في كتابات مفكري البرجماتية موقف مضطرب متذبذب، وقد أخضعوه تارة للاختبار والتجربة، فنجد أحد الكتب المهمة لوليم جيمس (1902) وهو كتاب:(تنوع الخبرة الدينية) يظهر اهتماماً بالحديث عن الدين كخبرة، ويقول عنه أوزمون وكرامز (2005، ص

284) "وهذا الكتاب الذي كان مسيطراً على الفكر اللاهوتي، وكتاب ديوي (إيمان عام) الذي لم يكن بمستوى التأثير الذي كان لكتاب جيمس" فما هو موقف البرجماتية من قضية العناية الإلهية في الكون، ووجود الله، وموقف البرجماتية من الدين؟

(1) موقف البرجماتية من قضية العناية الإلهية في الكون ووجود الله:

لم يكن موقف البرجماتية من قضية العناية والتسليم بوجود الله موقفاً واضحاً بل مذبذبين بين ذلك فلم يؤمنوا بها حيث أنهم لم يقبلوا براهينها قبولاً مطلقاً، ولم يرفضوها رفضاً تاماً، ويظهر ذلك في أقوال وليم جيمس (1902) فيقول: " والواقع أن هذه البراهين إنما تقوم على أساس الافتراضيات التي تخلط بين الحقائق والمشاعر فهي لا تثبت شيئاً على نحو واضح "، ويتبين رفضه لأدلة من أسماهم باللاهوتيين في قوله في سياق رده على الاستدلال بوجود الخلق على وجود الخالق : " ثم أن الإله الربوي يكاد يكون عقيماً مثل المبدأ ذاته إذا أنه يتعين عليك أن تخوض العالم الذي خلقه لكي تحصل على أيه إشارة على صفته الحقيقية .. انظروا إلى المسألة بكل إخلاص ثم قولوا ما هي قيمة الإله إذا كان قائماً هناك، وقد أنجز عمله وأتمه، ثم يترك عالم يغلب على أمره ويسحق وينكل به، أنه عندئذ لن يساوى أكثر مما يساوى ذلك العالم، سواء بسواء ". (الجلوي، 2005 , ص265 – 266)، –سبحان الله عما يقولون علوا كبيرا– ويظهر بذلك شكوكه في العناية الإلهية، والاعتراف بالإله الخالق لدى البرجماتية أنهم يضعونه في ميزان المنفعة الوقتية فإن لم يروا المنفعة الظاهرة رفضوا الاقتناع بوجودها وأخرجوها من دائرة العلم والإيمان .

وفي مواضع أخرى يتأكد موقف وليم جيمس فحسم المسألة في رأيه النهائي في وجود الله – سبحانه وتعالى –وأن ذلك لا يكون إلا من خلال اختبار هذه الفكرة أصلا والحكم عليها من خلال ما ينتج عنها من منفعة فستكون صحيحة إذا أثبتت منفعتها، وخاطئة وغير مقنعة إذا كانت غير نافعة فيقول: " كان على حقيقة (الله) – سبحانه وتعالى عما يصفون – أن ترضى بنزال كل حقائقنا الأخرى فهي تتعرض لامتحان وتمحيص الحقائق الأخرى. والحقائق الأخرى توضع على محكها ".

كما اعتبره فرضاً يختبر فيقول في موضع أخر: "علي أن أعالج فكرة العليم الكلى كمجرد فرض فحسب " (جيمس، 1902). وقد كانت نتائج الاختبار لدى جيمس غير مقنعه له، حيث يرى أن وجود الشر في الكون أمر غير مستساغ فيقول متعجباً: " إن إلهاً يستطيب مذاق مثل هذه الكمية الوافرة الزائدة من الرعب والهول والفزع ليس إلهاً صالحاً لأن يستغيث به البشر " وبعد هذا الاختبار يعلن أن هذه البراهين غير صحيحة فيقول: " ليس في وسعى أن أخوض في كل البراهين المنطقية لوجود هذا الكائن الأعظم , أكثر من أن أقول إنه ليس فيها برهان واحد على سبيل الحصر يبدو في نظري صحيحاً ". (الجلوى، 1995، ص 667 – 668).

ويمكن تحليل موقفهم من الدين والإيمان بأنهم وقعوا في مأزق عدم القدرة على الحكم على بعض الأفكار لأن المعرفة الصحيحة لها مستحيلة، ويظهر هذا الموقف لجيمس (1902) الذي يقول: " ماذا يكون موقفنا من هذه الأفكار التي يصعب الحكم عليها؟ وهل ينبغي أن نتوقف عن الحكم عليها، أم هل يحسن بنا أن نفترضها فروضاً من أجل تفسيرها؟، والواقع أننا لا نستطيع أن نحيا أو نفكر دون قدر من الإيمان والاعتقاد–وليس الاعتقاد من وجهة نظره إلا فرضاً ناجحاً– "

ثم تساءل جيمس عما يسير الأشياء هل هو المادة أو الله بقوله يجب علينا أن يكون تساؤلنا كالتالي: ما هو الفرق العملي الذي يمكن يحدث الآن إذا قدر للعالم أن تسير دفته بواسطة المادة أو بواسطة الله. وبالنسبة لماضي العالم ليس هناك فرق سواء اعتبرناه من عمل المادة أم حسبنا أن روحاً قدساً هو خالقه. أما بالنسبة للمستقبل فإن المادة لا تبشر بشيء من النجاح . بل تبشر بالتحطيم النهائي للكون، لذلك يجب أن يكون اعتراضنا على المادة بسبب فشل نتيجتها العملية.

في حين أن فكرة الله –سبحانه وتعالى– مهما تكن أقل وضوحاً من تلك الأفكار الحسابية لها على الأقل الميزة العملية المتفوقة على المادة من حيث نتائجها، والإله الذي يحتاجه كلاً منا يجب أن تكون صفاته مفيدة المعنى مثل القدرة والخيرية لأنهما تبعثان في الرجاء، ولكن يجب أن نغفل عن صفات ذلك الإله النظرية المعروفة من وجود بالذات وروحانية وبساطة، وما أشبهها لأنها عديمة الفائدة –تعالى الله عما يصفون علوا كبيراً (جيمس،1902) (مبروك 1410، ص165). مما يدل على وجود موقف متزعزع وفراغ روحي نتج عن إغفال متطلبات الروح.

وبالنسبة لديوى فإنه على الرغم من أن بعض كتاباته يمكن وصفها بالإلحاد إلا أنه يؤيد أحياناً موقف جيمس العالق بين الشك واليقين على اعتبار وجود المنفعة حيث " رفض الإيمان بالغيبيات، ورفض الإلحاد أيضا على اعتباران الإنسان في عالم الطبيعة وأن الأفكار الدينية لها جذور في الاحتياجات الطبيعية للإنسان " (أوزمون وكرافر , 2005 , ص 284). ويتضح موقف ديوى من الدين الذي يظهر في إغفاله بل رفضه للبحث في القضايا الميتافيزيقية ويرى ذلك امرأ غير هام، وهذه القول تتفق مع دراسة سالم (2018).

وبالنسبة لمعنى كلمة (الله) عند ديوى (1934) فهي مختلفة حيث " استبعد معنى (الله) الذي ذكر في الإنجيل واستبقى الإحساس بالثقة، وأن الإنسان جزء متعاون من كل اكبر، ذلك أن ديوى يؤمن بالاتحاد العام بين الإنسان والطبيعة والله " وهذا يتفق مع مذهب ديوى الإنساني والطبيعي في تأكيد الإحساس بالانتماء وقد اختار حياة المجتمع هي الهدف. (الجلوي ،1990، ص674). وقد أشار في بعض كتاباته إلى عدم إنكاره لوجود إرادة مسببة للكون وموجهة له إلا انه شكك في وجود برهان تجريبي على وجود هذه الإرادة (الجلوى،1995).

يبين أن الإنسان يحتاج إلى الإيمان والاستناد إلى إله صمد تصمد له المخلوقات، (قل هو الله أحد الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وتطمئن ولو أخضعت البرجماتية اختباراتها بشكل صحيح لوجدت أن النتيجة نافعه من خلال الدلائل الجلية على وجود الله أولها دلالة الفطرة، وظهرت باعترافهم بالحاجة للشعور بالسكينة والإطمئنان، ثم دلائل العقل الذي جعلوه مسيطراً على المعرفة فالصنعة تدل على الصانع، ودلائل الحس بآثار خلق الله في الكون ورحمته، أما شبهة وجود الشر التي كثيراً ما تثار فتنقضها حقيقة الإيمان واركانه، وبأسماء الله وصفاته بأن الله حكيم في تدبيره، وبالتصور عن الحياة التي دلت عليها الكتب والرسل، فقد أخبر الله الناس بأن الحياة الدنيا هي دار اختبار وعمل وسيجازى الإنسان ويحاسب في الدار الآخرة دار الجزاء قال الله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(4) (الملك:1–4).

وهذا يؤكد أن أن البرجماتيين يخضعون قضية وجود الله وأدلة ذلك وأدلة العناية الإلهية لاختباراتهم الذرائعية أو النفعية كما يسمونها؛ فمتى كانت نتائج التجربة (وجود الله) نافعة كانت صحيحة ومقبولة وإلا فلن يكون لها موضع في يقينهم كما يجب أن تتسق هذه الفكرة مع مبادئ الديمقراطية وتنسجم مع صورة المجتمع الديمقراطي. وهذا ما أظهر معالم موقفهم من الدين، وأدى إلى فصل التجربة الدينية عن مسألة وجود الله عند ديوى وفيما يلي سوف نشير إلى موقفهم في الدين.

ثانيا: الموقف من الدين:

فيما سبق عرفنا أن البرجماتية تخضع مسألة وجود الله للنفعية (مدى منفعتها)، وظهر لنا تشكيكهم بقضية العناية الإلهية في الكون وإقرارهم بدور الإنسان الفاعل تطوير مجتمعه حتى يكتمل.

ولابد من الإشارة إلى موقف وليم جيمس من الدين باعتباره أكثر من اهتم بالحديث عن الدين، فهو يرجع أهمية الدين إلى ميول الإنسان وطمأنينته للإيمان بالمسألة التي قد لا يجد دليلاً نظرياً أو منطقياً لإثباتها. فهو يريد من الدين " أن يكون مجرد مسكن أو مخدر يستطيع الإنسان بواسطته أن يواصل حياته بقوة وحماس " (مبروك 1410،ص166) .

كما يظهر في بعض أقوال وليم جيمس أنه يقبل الدين في حال تجربته لهذه الفكرة وظهور نفعها الذي قد يكون الشعور بالراحة والانسجام أي أن الدليل هو شعور باطني وقد حدد خصائص هذه التجربة عندما صرح بإعتقاده أن خصائص التجربة الفعالة ينبغي أن تسمى بحالة اليقين، وهذه الخصائص يمكن ذكرها ولا يتسنى تقدير كثافتها إلا لمن مر بها، والسمة الأساسية لهذه التجربة هي فقدان القلق حيث يكون الإحساس بالسكينة والتوافق مع كل شيء وأن لم يتغير شيء، ويكفى أن هناك يقيناً برحمة الله والثقة بالخلاص.(جيمس، 1902).

الثاني: إدراك الحقائق التي لم تكن معروفه من قبل.

الثالث: الإحساس بتغير العالم وحداثته تجدده " (الجلوى، 2005، 700)

أما بالنسبة لموقف ديوي من الدين فيظهر عدم اهتمامه بالأديان، وينظر إليها نظرة سلبية لأنها برأيه تفصل الناس وتصنفهم وبالتالي لا يمكن قبول ذلك في مجتمع الديمقراطية. (أوزمون و كرامز. 2005 , ص 84).

ويقصد بالفصل والتصنيف التعصب المذهبي والديني الذي يرفضه ويؤيد ذلك ما ذكرته الجلوي عن موقف ديوي مؤكدة موقف ديوى المهاجم للدين فيصفه أنه سبب للتفريق بين الفرد ومجتمعه ومسبب للطائفية عندما يقوم بالطقوس والممارسات التعبدية معتبراً ذلك تضييع لأحساس الفرد بمجتمعه ومكانته فيه في حين غذت روح التشيع الطائفي والتعصب المذهبي (الجلوى ، 1995 ، ص 703).

وبذلك يتضح أن موقف ديوى من الدين ليس جديداً على مبادئه وليس موقفاً عدائياً تاماً من الدين بحد ذاته، وإنما لما ينتج عن فكرة الدين من نتائج ضارة بالمجتمع الديمقراطي وهذه النتائج التي يراها ضارة تجسدت في التشيع والتعصب للدين وبذلك تكون هذه الفكرة غير نافعة وإطلاق مصطلح التجربة الدينية يدل على أنه يقوم بتجريبها.

ويرى اوزمون وكرافر(2005 ، ص284) أن رفض ديوى للدين لم يكن للدين وإنما نقده كان مواجهاً للممارسات الحالية ونقده للمسيحية التاريخية التي فصلت الأشياء، وتشير إلى أن ديوي في حديثة عن الدين لم يتعصب لديانة خاصة وإنما اتسعت نظرته لتشمل الأديان كافة والاختيار يكون لما يحقق الوظيفة البرجماتية للدين. ويتعاطف ديوى مع الاتجاه الذي يؤمن بأن الناس سوف يسيطرون على أفعالهم بذكاء خلافاً لموقفه من رجال الدين الذي يرى أنهم يجبرون الناس على طقوس معينه.

وقد وجه الانتقاد للبرجماتية من حيث أنها تقف خلف حركة (إنسانية علمانية) في التعليم (أوزمون وكرافر، 284) وترى الباحثة أن موقفهم هذا انعكاس لموقفهم المتذبذب من القبول والرفض للدين فهذا المذهب الإنساني الطبيعي الذي يؤمن به ديوي هو ناشئ عن ردة فعل للصراع بين العلماء والكنيسة في العصور الوسطى حينما كانت تهيمن الكنيسة بفكر منحرف تنسبه للدين الحق ،ثم ظهر هذا المذهب الإنساني الذي يرى أتباعه ومنهم ديوي أن يكون إنسانياً وليس الهياً وينادى بأن ينضم كل الناس تحت لواء الإنسانية دون فوارق تفصل بينهم

سواء دينية أو مذهبية وأما الدين فهو أمر شخصي ويجب الانتباه لهذه الدعوة الخطيرة لأنها دعوة لنشر الإلحاد والتخلي عن فكرة الدين، فالدين ليس بمعزل عن المجتمع ولا يصح أن نحصره أو نرده إلى أن يكون مجرد مسألة شخصية، كما أن هذا الموقف يحمل في ضمنه تناقضات، فالإنسان مفطور على التدين كحاجة فطرية كما أن انتماء التدين لا يتعارض مع عدم الفوارق فالناس مختلفون بالطبع والفوارق موجودة وإنما تأجيج التعصب يكون من نواحي أخرى ليست من قبل الدين وإنما الأهواء والمجتمع وأسباب أخرى.

ولأن الدين حاجة فطرية فقد أعاد ديوي النظر في مذهبه لوجود هذه الثغرات على سد الخلل الذي رآه في مذهبة الطبيعي المتذبذب من الدين وذلك بإقرار التجربة الباطنية. وهو يرى أنها تعطي مشاعر ضرورية لتكيف دائم للصفة الدينية للحياة وتمنح ثقة في معنى الحياة وأساس الإحساس هو شعور الاتحاد مع الكون والانتماء إلى (كل أكبر) وأشمل الذي هو هذا الكون حيث يحيا الإنسان، ولكن ديوي يعود ليحذر من الانهماك في المذهب الباطني الذي قد يضيف بعداً يقيمه التجربة الإنسانية، ولكن قد يكون مشجعاً على التأخر والتردي.

فيؤكد ديوي وجيمس على أن التجربة الدينية تحصل بتوحد الذات على أن هذا الأمر يتطلب مؤهلات لكي يوصف بأنه توحد ديني وهو أن يكون المرء ذا طبيعة ثابتة وعميقة وأن يتميز بعاطفتي السكينة والبهجة، كما أن بحوث جيمس التجريبية في مجال التجربة الدينية تقود إلى تأمل حقيقة المجال الروحي المقدس الذي يقع وراء هذا العالم المادي وان كان امتداداً له في الوقت نفسه (الجلوى، 1995، ص726).

وبهذا يتأكد أن موقف الفلسفة البرجماتية من الدين يخضع للتجربة الشخصية وهو أمر نسبي شخصي وأحياناً سلبي بحسب الآثار المترتبة والمنافع والسلبيات من هذه التجربة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة أحمد(2017)، ودراسة سالم(2018) ، وهذا موقف مختل ولا يعد إيماناً وهو ضرب من الكفر، فهم كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض والبرجماتية بهذا التصور الضال عن الموقف من الدين والحاجة الفطرية للتدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه).(أخرجه البخاري، رقم الحديث: 1385، ومسلم، رقم الحديث 2658). وقال الله جل وعز: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي

فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30). وعدم إشباع هذه الحاجة الفطرية أدى إلى اختلال المنهج الذي يظهر في تذبذب المواقف والكتابات التي دلت على ارتباك لعدم توازن النظرة للإنسان والكون.

ثانياً : نظرية المعرفة: Epistemology:

تعد نظرية المعرفة من أهم القضايا والموضوعات التي تبحث فيها الفلسفات ويمكن اعتبارها ركيزة أساسية أعتمد عليها البرجماتيين في بناء فلسفتهم، وهي تساعد الباحثين في هذه الفلسفة على التعرف عليها تحديد معالمها والقدرة على فهم أفكارها ومعتقداتها، مما يعينه على تحقيق مراده. ومن هذا المنطق سيتم توضيح ما يتعلق بنظرية المعرفة من حيث إمكان المعرفة وحدوثها، ومصدرها، وطبيعتها كما يلي:

– إمكان المعرفة وحدوثها: يتفق البرجماتيون على أن عملية الحصول على المعرفة هي عملية تفاعل بين الإنسان وبين بيئته، فالإنسان لا يقتصر على مجرد استقبال المعرفة بل إنه يصنعها، وينظر البرجماتيون إلى العقل على أنه مجموعة من الخبرات التي كونها الفرد من خلال عمله ونشاطه، ويعتبرون العقل نشيطاً، واستطلاعياً وليس مجرد متلقي سلبي. (مرسى ،1992)، و(بدران وآخرون،2001)، و(فام ، 1998، ص 74). ويتبين حينئذ فاعلية العقل كمسيطر على المعرفة في الفلسفة البرجماتية.

مصدر المعرفة: يؤمن البرجماتيون بأن المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية هو الخبرة والنشاط الذاتي للفرد فأي معرفة يكتسبها الفرد أنما هي ناشئة من وجهة نظر ديوي (1916) عن خبرته وتفاعله مع عناصر البيئة المحيطة به وعن نشاطه وكفاحه من أجل البقاء ومن أجل الحصول على لقمة العيش والكساء والمأوى ومن أجل التغلب على المشاكل التي تواجهه في الحياة. وقد شرح مثالاً لذلك الاعتقاد في المعرفة بأنها تحصل نتيجة خبرة كمثل الطفل يمد يده إلى النار فتحرقه ويكف عن لمسها ولا يمد يده إليها ثانية لأنه عرف أنها محرقة، وهذا يبين نشاط الطفل الذي سبب له خبره مؤلمة.

أدوات المعرفة: تنظر البرجماتية إلى العقل والحواس على إنهما أدوات للحياة ولتطويرها ولتنمية وتيسير سبل العيش فيها، وليست مجرد أنها أبواباً للمعرفة وعلى هذا " فمعالجة العقل أو الحواس

على أنها أداة للمعرفة خطأ ترى البرجماتية أن العقلية الاختبارية وقعت فيه ". (فام ,1998ص164). وتؤيد ذلك الجلوى(1995 ،ص642) بأن ديوى (1929) يذهب إلى اهتمام الإنسان بالعقل وإطراءه على المعرفة إنما هو لأجل مالهما من تأثير على النجاح أو الفشل في الحصول على الخير وتجنب الشر وقد أورد مثالاً ليثبت صحة ما يزعمه بأن العقل وظيفته مثل وظيفة أي عضو في جسم الإنسان مثل العين التي لم تخلق لكي تنقل للإنسان الألوان وإنما لتدله على مواضع الخطر فهي أداة للحياة كما العقل أداة للحياة.

طبيعة المعرفة: ويقصد بهما قيمة هذه المعرفة هل هي ثابته أو متغيرة هل هي نسبية، هل هي يقين أم ظن، ومن أي نوع، ولفهم طبيعة المعرفة يجدر تعريف الحقيقة عند البرجماتية:

ويلاحظ أن البرجماتية امتنعت عن استخدام مصطلح حقائق – حقائق الحس والعقل – إلا في حال مناقشة الفلسفات التقليدية (فام، 1998، ص 200)، لأنها ترى أن هذه الحقائق لها بعد زمني، فهي حوادث لا حقائق دائمة ولأن هذه الحقائق جزء من الاختبار وان الخبرة والتعامل والمران وصراع هذه الأشياء هو حقيقة هذه الأشياء لذا يسمونها حوادث.

معنى الحقيقة: لقد اختارت البرجماتية طريقاً خاصاً بها ومغايراً للفلسفات الأخرى في معالجة الحقيقة، وحاولت الربط بين الحق وأثرة العملي في حياة الإنسان. فالحكم يكون صادقاً متى ما دلت التجربة على كونه مفيداً نظرياً وعملياً. فالحقيقة البرجماتية تعني" الصدق العقلي والحقيقة عند جيمس أبعد ما تكون عنده كونها غاية، ولا تزيد عن كونها وسيلة وأداة أوليه لبلوغ ضروب أخرى من الإشباع والرضا والسرور والحيوية " (جيمس، 1907)، (الجلوى، 1995، ص649).

وهذا الرأي لجيمس عن الحقيقة يؤكد لنا أنه يحكم على الفكرة بأنها حق أذا كانت تحقق منفعة وصدقها لديه مرهون بما تستطيع أن تقدمة من خدمة نافعة أذن فالحق كما يقول وسيلة وليس غاية. ولا يمكن حيازة أي حقيقة لأنها حقيقة. وهذا يجعل الحقيقة أهميتها تختلف باختلاف الزمان والمكان والحاجة إليها، وهذا يسبغ عليها صفة (النسبية والقابلية للتغير)، فقد تكون صحيحة اليوم وباطلة غداً، وهذه النسبية عند جيمس يرى أهميتها، وأن تعدد الحقائق يفيد الإنسان، ويشبهه بالرصيد الربوى بطريقة الائتمان وفتح الحساب فقد يحتاج المرء لهذا الرصيد من الحقائق في موقف م،ا وفى هذه الحالة تكون الحقيقة مفيدة لأنها صحيحة وصحيحة لأنها

مفيدة. (الجلوي، 1995، ص651). ويمكن القول بأن هذا الرأي فيه ما يدحضه فكيف لحقائق قد تكون باطلة يوماً أن تفيد فما بني على باطل فهو باطل.

وهذا الرصيد من الحقائق عند البرجماتي ينبغي أن يكون شاملاً للجوانب المادية والمعنوية وهذا يظهر من قول جيمس (1907) :" الحقائق تعني حقائق محسوسة ملموسة، أو أنواع مجرده للأشياء، وتعني علاقات تدرك(بالحواس) أو تفقه (بالذهن) بدهياً أو جسدياً فيما بينها وعلاوة على ذلك، فأنها تعنى ثالثاً كأشياء يجب على أفكارنا الجديدة وان تدخلها في الحساب، جماع الحقائق الأخرى برمتها التي في حوزتنا من قبل " (الجلوى 1995 ,ص 651) .

أي أن الحق والخير كالورقة النقدية في الأسواق قيمتها ليست في ذاتها بل بثمنها. ويرى مبروك أن الحق عند البرجماتي لا يزيد أن يكون وسيلة لبلوغ الرضا والسرور، وانتقد هذا الفكر بقوله " والحق يفضل على الباطل عندما يرتبط كلاهما بموقف البحث عن أيهما أنفع أما إذا لم يرتبط بذلك فإن الحق يتساوى مع الباطل في أنه حتى لو كانت المنفعة هي الهدف الوحيد – حسب ما يؤمنون به – فكيف يمكننا بغير الحق أن ندرك ماهي هذه المنفعة" .(مبروك، 1410، ص164).

كما أن الحقيقة في الفلسفة البرجماتية غير كاملة وليست مطلقة فهي لا تزال في التكوين والاصطناع (وفق حاجات الإنسان ومتطلباته) وتنتظر جزء من ملامحها في المستقبل. (جيمس ،1907) ، وهذه النظرة عن صنع الحقيقة في البرجماتية مرتبطة بنظرتهم عن الكون التي أشرنا إلها آنفاً عند الحديث عن الكون والعالم في نظر البرجماتيين الذي يؤمنون بأن جوهره هو التغير المستمر.

ولا يختلف كثيراً ديوى وجيمس على معنى الحقيقة فيعرف الحق بأنه " الرأي الصحيح". والحقيقة عند ديوى (1916) ليست مستقلة عما حولهما بحيث يمكن الحكم عليها بالصواب والخطأ، بل الحكم عليها بالصواب أو الخطأ مرتبط بالدور الذي تقوم به في سياق أكثر اتساعاً ومدى ارتباطها بالعالم ". (الجلوى ,1995 , ص658)، (بدران وآخرون , 2001). فالحقيقة إذاً ليست خارجية عن الإنسان بل هي مصنوعة بتفاعل الكائن الحي الإنساني مع ما يحيط به من أشياء.

وتؤكد هذه النتائج دراسة حسين (2014)، ودراسة سالم (2016)، ودراسة سالم (2018) في قصور الفلسفة البرجماتية عن تقديم تفسير كامل للحقيقة.

يظهر مما سبق أن البرجماتي على استعداد لقبول أي تجربة إذا كانت لها نتائج عملية نافعة في حياته، ونجد أن وليم جيمس (1902) يقبل أيضاً التجربة الصوفية مشترطاً ثبوت نفعها فيقول: أما البرجماتية فعلى استعداد لأن تتناول أي شئ لأن تتبع إما المنطق وإما الحواس وأن تعطى وزناً وحساباً لأكثر الخبرات تواضعاً وذلة وأكثرها شخصية. أنها تعتمد الخبرات الصوفية إذا كانت لها نتائج عملية. ويقرر جيمس (1902) أنه يمكن الوصول إلى الحالات الصوفية عن طريق المخدرات والمسكرات، بل ليصل إلى مستوى الإلهام الميتافيزيقي.

فمصدر المعرفة هو الخبرة وهي تابعة تالية لها وأدخل جميس الخبرة والتجربة الصوفية في حالات أدائها، ولا حقائق خارج دائرة المحسوس بينما يقر الأساس الفكري للتربية الإسلامية أن العقل والحواس أدوات معرفة كلا منهما في مجاله فالعقل في مجال المعقولات والحس في مجال المحسوسات والوحي مهيمن عليهما ضابط لهما. فالإنسان يولد لا يعلم ولكنه مفطور على إمكانية التعلم، قال الله تعالى: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم}. (سورة العلق: 1-4). وقال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل:78).

وطبيعة المعرفة عند البرجماتية غير مطلقة وإنما بحسب أدائيتها، وهي معرفة ممكنة من خلال تفاعل الإنسان، ولكن العقل والحوس ليست أدوات معرفة بل هي أدوات للحياة. والمعرفة في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية هي معرفة مطلقة دون اعتبار لأدائيتها، وإن كانت نافعة أو لا فالحق لا يرتبط بالأشخاص أو المواقف التي يفسرها البشر فميزانهم نسبي. وغاية المعرفة في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية هي معرفة الله ومعرفة، ومعرفة حق الله، ومعرفة كيفية أداء ذلك الحق. وهي معرفة ليست نسبية بل يقينية بالنسبة للحقائق التي عن طريق الوحي، أما الحقائق التي عن طريق العقل والحواس فيكون يقينها بحسب ما تثبت به أدلتهما.

ثالثاً : نظرة البرجماتية للقيم:

وهذا المبحث يرتبط بما قبله ويعني كيف ترى البرجماتية ما ينبغي أن يكون عليه السلوك، ماهي محددات السلوك في الوجود وكيف يتصرف البرجماتي.؟

تعتبر القيم عند البرجماتية نسبيه وليست مطلقة، بل متغيرة على أساس الظروف المصاحبة لها ونتائجها، ويؤكد هذا تصريحات المفكرين البرجماتيين حول القيم ، فيقول ديوى (1934): " والقيم كصور السحاب – غير ثابتة والأشياء التي تضم القيم عرضه لكل مصادفات الوجود، غير أنها سيان بالنسبة لميولنا وأذواقنا ". مما يعكس فلسفته البراجماتية التي تنظر إلى القيم على أنها متغيرة وغير ثابتة، وتعتمد على المواقف والظروف بدلاً من المبادئ المطلقة.

أي أن ذلك يدل على أنه ليست هناك مبادئ مطلقة نستطيع أن نتعلم على أساسها، بغض النظر عن نتائجها بالنسبة للآخرين، فترى البرجماتية أن جميع الشرائع الخلقية والجمالية عرضه للتغيير عبر التطور الثقافي، وهذا يعنى أن الاتجاه الأخلاقي يجب أن يتذبذب من يوم لآخر، (مرسى،1992). وتتفق في ذلك دراسة أحمد (2017) التي توصلت الدراسة إلى أن البراغماتية تركز على حب الذات والمصلحة الشخصية، مما يتعارض مع القيم الإسلامية التي تعزز الإيثار والتضحية.

مما يؤكد أنه لا يوجد قاعدة سلوك يمكن تمارس في نطاقها، وليست هناك قواعد ومبادئ خلقية محدده وثابتة، وأن على الفرد البرجماتي أن يتخذ القرار بطريق العمل الذكي الذي يوصله إلى أفضل النتائج بالنسبة لهذا الموقف الذي هو فيه ووفقاً للظروف المصاحبة لهذا الموقف.

وبالنسبة لموقف البرجماتية من التراث الثقافي فهو موقف سلبي وهو في ميزان المنفعة، فلا ترى فائدة من التراث الثقافي وممارسته لأن به التزاما بالماضي ". (ديوي،1934). كما ترى الفلسفة البرجماتية أنه يجب أن يعاد فحص التراث واختباره للتأكد من مدى فائدته العملية في الحياة الحالية. فهو خاضع للتجربة واختبار منفعته. (جعنيني، 2004 ،ص200).

القيم التربوية والتعليمية: أما القيم التي ينبغي أن تقدمها المدرسة للطلاب فهي القيم التي تعمل على التقدم برفاهية الإنسانية المادية الآنية فحسب، ويجب ألا تفرض القيم بسلطة عليا، وإنما هي قضية مطروحة للنقاش تحت ذريعة حرية الرأي، بل ترى الفلسفة البرجماتية أنه في حال

الرغبة في الاتفاق والتفاهم بخصوص القيم فإن ذلك يجب أن يكون بعد مناقشة متفتحة لها، ولا يتسنى السماح بالتعبير عن جميع وجهات النظر وتحقيق أجماع حر إلا في ظل الديمقراطية، ومن ثم فإن الديمقراطية والذكاء من وجهة نظر البرجماتية يستدعيان الواحد منهما الأخر، حيث يستطيع الذكاء أن يبلغ حرية التفكير في ظل الديمقراطية. (مرسي، 1982).

وبذلك تتسم القيم البرجماتية بأنها نسبية في طبيعتها، وأما مصدر القيم في البرجماتية فهو الإنسان المتغير المتقلب الأحوال. وهذه النظرة للقيم هي نظرة لها أبعاد خطيرة وضارة على الحضارة الإنسانية فطبيعة القيم تستلزم أن تكون ثابتة غير متناقضة، فيها صفة الإلزامية لأنها تحدد السلوك الإنساني وتنظمه فكيف تستقيم الحياة بسلوك مرتبط بهوى ومنفعة الإنسان الوقتية ومصدرها الإنسان نفسه وهو بطبيعته متقلب المزاج والحال والرأي. بينما التصور للتربية الإسلامية للقيم فهي قيم ثابتة مهما تغير الزمان والمكان وهي قيم الحق والخير والجمال، والقيم ضابطة لسلوكيات المسلم فيها صفة الإلزام والعمومية والثبات وأما مصدرها فهو الوحي فهي ربانية لا تخضع لهوى وقصور البشر. وتدل الآيات على العلاقة بين القيم والإيمان في كل الأحوال ويجعلها بعيدة عن هوى الإنسان أو تأثيراته الشخصية. حيث يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) . (التوبة: 119) فجعل الصدق دلالة على التقوى.

وهي قيم محددة للسلوك للحياة الدنيا والأخرى وليست للرفاه المادي فحسب بل لتجميل الحياة واستقامتها ونيل الأجر في الحياة الآخرة على الالتزام بها ابتغاء مرضاة الله وليس لإشباع حاجات نفسية للإنسان لإرضاء التجربة الشخصية والشعور بالرضا بل ذلك وإن كان من آثارها فهو ليس غاية القيم في التربية الإسلامية.

انعكاسات الفلسفة البراجماتية على المنهج العلمي:

تُعَدُّ الفلسفة البراجماتية (الذرائعية) من أبرز التيارات الفلسفية التي أثرت بشكل كبير على المنهج العلمي والبحث العلمي من القرن العشرين إلى هذا اليوم، خاصة في الولايات المتحدة خلال أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أسهم فلاسفة مثل تشارلز ساندرز بيرس، ووليم جيمس، وجون ديوي في تطوير هذا الاتجاه الفلسفي، مما انعكس على تطور المنهجية العلمية.

وعلى الرغم من إسهامات الفلسفة البراجماتية في تطوير المنهج العلمي والبحثي في مجال التجريبي، إلا أن تركيزها المفرط على النتائج العملية والمنفعة المادية، وتهميشها للقيم والمبادئ الأخلاقية أدى إلى أبعاد سلبية تؤثر على تكاملية وشمولية البحث العلمي. لذلك من الضروري توجيه النقد وتصحيح المسار لتحقيق توازن بين التطبيق العملي والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والأسس النظرية لضمان تقدم علمي مستدام ومتكامل.ومن هذه الإنعكاسات مايلي:

1. انحسار مفهوم العلم في الماديات: فما وراء العلم خارج دائرة الحقيقة وكل النتائج التي يتوصل إليها بغير التجربة والعمل لا يطلق عليها علم –كما تبين من مباحث هذه الدراسة– وهذا أدى إلى:

-حصر مفهوم القوانين العلمية على دائرة المحسوسات في المجالات الطبيعية.

-تركيز الاهتمام بالأبحاث التطبيقية التجريبية مع إهمال الأبحاث الأساسية والنظرية.

-استئثار النشر العلمي في المجلات العلمية المحكمة الدولية ذات معاملات التأثير العالية على الأبحاث التجريبية دون الأبحاث النظرية والأساسية.

-الاهتمام بالمنهج الكمي مثل المنهج التجريبي على حساب المنهج الكيفي واستبعاد المنهج التاريخي من موثوقية العلم.

2. نسبية الحقيقة في العلوم: تُؤكد البراغماتية أن الحقيقة والمعرفة ليستا ثابتتين، بل تتغيران بناءً على النتائج العملية والتجارب الفردية هذا التوجه أدى إلى تهميش البحث في المبادئ والأوليات، والتركيز فقط على النتائج والغايات، مما يُضعف الأساس النظري للبحث العلمي كما أن هذا المنظور قد يُفضي إلى قبول تناقضات معرفية، حيث تُعتبر الأفكار صحيحة إذا أثبتت فائدتها العملية، بغض النظر عن اتساقها المنطقي.

3. إعلاء المنفعة المادية وتركيزها على النتائج العملية تُقيِّم البراغماتية صحة الأفكار والمعتقدات بناءً على نتائجها العملية وتأثيرها على السلوك والحياة. هذا التوجه دفع العلماء إلى التركيز على التطبيقات العملية للأفكار والنظريات، (جيمس، 1907) مما أدى إلى تطوير مناهج علمية تهتم بالنتائج القابلة للقياس والتطبيق في المجالات الطبيعية والرياضيات والعلوم الدقيقة والطب والهندسة والفيزياء والكيمياء، ولكن أثر سلباً ذلك على

أن العلوم الاجتماعية والنفسية والشرعية وبالتالي، قد يتم تهميش مجالات بحثية مهمة لعدم تحقيقها فوائد مادية مباشرة، مما يُعيق التقدم العلمي الشامل وتطوير العلم لأجل العلم.

4. .إهمال البحث في المبادئ والأوليات: حيث تُوجه البراغماتية العقل إلى العمل دون النظر، وتنطلق البراغماتية من المستقبل، متجاهلة الماضي، وتعتبر الحاضر لحظة إعداد لتحقيق برامج مستقبلية. هذا النهج أحدث قطيعة مع الماضي ورفض البحث في المبادئ الأولية. (ديوي ،1922)، بمعنى بأن ينصرف العقل عن التفكير في المبادئ والأوليات إلى البحث في النتائج والغايات هذا التوجه قد يؤدي إلى إهمال البحث في الأسس النظرية والمعرفية، أغفلت الاهتمام بالمناهج الأساسية الدينية والتاريخية والتراثية والمناهج المتعلقة بالجوانب النفسية والثقافية، والتركيز فقط على التطبيقات العملية. وبالتالي، قد يتم تجاهل تطوير النظريات الأساسية التي تُعتبر حجر الزاوية في التقدم العلمي. (ربيع، د.ت).

5.التطرف العقلاني: تدعو البراجماتية إلى الاعتماد على العقل والتجربة، وتُهمل الجوانب الوجدانية والروحية، هذا التطرف أدى إلى إلغاء كل ما لا يقدم منفعة شخصية للإنسان مما أدى إلى تجاهل بعض المناهج وأساليب ومجالات، مما يُضعف التنوع في مناهج البحث العلمي، كما أن التركيز المفرط على العقلانية يُهمل الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية، مما يؤثر سلبًا على شمولية البحث العلمي. (الشامي، 2014). فالبرجماتية وإن كانت تعتبر العقل هو أداة لفهم العالم وتغييره، فإن هذا التصور عزز استخدام العقل والتفكير النقدي في تطوير مناهج علمية تهدف إلى إحداث تغييرات إيجابية في المجتمع. إلا أنه جعل العقل متحكم ويقرر الحق بينما العقل هو عقل البشر المعرض للخطأ الذي يخطئ نفسه يوماً بعد آخر، كما أن العقل قاصر في مجالات لا يمكن للعقل أن يعمل فيها كالغيبيات والروحيات والنفس والاجتماع.

6.تهميش القيم والمبادئ الأخلاقية في الأبحاث: تتعامل البراغماتية مع المبادئ والقيم، خاصة تلك المتعلقة بالجانب الروحي والديني، على أنها أمور غير مهمة لأنها لا تخضع للجانب العملي الذي ينتظر تحقيق الفائدة المرجوة منه (ديوي، 1934). هذا التوجه قد يؤدي إلى

إهمال الجوانب الأخلاقية في البحث العلمي، والتركيز فقط على الفائدة العملية، وبالتالي، قد يتم تبرير استخدام وسائل غير أخلاقية إذا كانت تؤدي إلى نتائج عملية مرغوبة، مما يُضعف الالتزام الأخلاقي في الأبحاث العلمية.

- **خلاصة النتائج والتوصيات والمقترحات:**

أولاً: يتبين من مناقشة إجابة السؤال عن نظرة الفلسفة البرجماتية للكون في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية الخلاصة الآتية:

1. طبيعة الكون: تُركّز البرجماتية على التجربة والخبرة في تفسير الكون وتعترف بالكون المادي المشهود وترفض العالم الغيبي، معتبرة أن الكون لا يحمل غاية ثابتة بل يخضع للتجربة الإنسانية البرجماتية، وترى أن الكون في حالة دائمة من التغير، وأن الحقائق فيه نسبية وغير ثابتة. وتؤكد أن التغير هو جوهر الحقيقة وأن أي شيء لا يمكن أن يظل ثابتًا إلى الأبد. والنقد لهذا التصور في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية يقوم على أن الكون مكون من عالم مشهود مادي وعالم غير مادي وهو عالم الغيب، ويؤمن بسنة التغير في الكون المادي لكنه يؤكد أن القوانين الكونية ثابتة ومحددة من قبل الله. التغير في الكون يتم وفقًا لمشيئة الله وليس بشكل عشوائي أو بلا هدف. هذا التفسير يتناقض مع نظرة البرجماتية التي تغفل عن الحقيقة الثابتة والمستقرة التي يوفرها النظام الإلهي للكون.

2. التعددية والتغير: ترى البرجماتية أن العالم متعدد ومعقد، وأنه لا يمكن تعريفه بكامل دقته أو إحاطته. والعالم مليء بالمشكلات التي تحتاج إلى تفاعل الإنسان المستمر للتعامل معها. والنقد لهذا التصور في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية من خلال الإيمان بالله وحده الخالق الموجه للكون. وتؤكد تعددية الظواهر الكونية ولكن لا يمكن أن يكون الكون عرضة لفوضى أو صراع لا نهاية له، بل هو مخلوق بإرادة الله، نظام خاضع لقوانين إلهية ولتدبير الله وعلمه وإحاطته، وتفاعل الإنسان مع الكون عبودية لله ويجب أن يهدف إلى تحقيق الخير والصلاح.

3. الكون والنظرة القاصرة إلى التغيير: ترى البرجماتية أن التغيير والتفاعل هو السمة الأساسية للكون، ولا تلتزم بأي حقائق ثابتة. وهذا التصور في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية

محل نقد، حيث أن التغيير في الإسلام هو جزء من سنن الله في الكون، ويهدف إلى تحقيق العدالة الإلهية والحكمة الإلهية، فالإسلام يرى أن التغيير لا يعني عدم الاستقرار أو الصراعات لأجل الصراعات ولا يعني غياب القيم الثابتة، بل هو سنة كونية وهي جزء من التدبير الإلهي الذي يحكم الكون.

4. دور الإنسان في الكون: تنظر الفلسفة البرجماتية إلى الإنسان كمتحكم في العالم حيث تضع البرجماتية الإنسان في موقع فاعل ومتحكم في الكون، حيث يجب عليه التفاعل مع البيئة وحل المشكلات وتغفل الجوانب الروحية في الإنسان. فالإنسان هنا يتحمل مسؤولية التغيير المستمر، النقد لهذا التصور في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية من منطلق أصل الإنسان وتكوينه من جسد وروح لكل منها متطلباته، فيؤدي هذا التجاهل إلى فراغ روحي ومعنوي.

كما أن دور الإنسان في الكون قائم على غاية وجوده فخلق لعبادة لله على الأرض وأنه خليفة الله في الأرض، وهذا يختلف عن المفهوم البرجماتي الذي يضع الإنسان في موقع "إلهه" في عالمه. العلاقة بين الإنسان والكون في الإسلام هي علاقة تسخير، وليس علاقة صراع أو محاولة للسيطرة على الكون. الإنسان مكلف بإعمار الأرض وفقًا لأمر الله، وليس بتحقيق مصالحه الذاتية من خلال التفاعل المفرط مع البيئة.

5. إغفال الدين والغيبيات في تفسير الكون: ترفض الفلسفة البرجماتية فكرة الدين كجزء من المعرفة الحقيقية للكون، حيث تركز فقط على ما يمكن تجربته أو ملاحظته من خلال الحواس. ولا تؤمن بالغيبيات، وقد تعد فكرة التدين تجربة شخصية مصدرها الإنسان، فالكون في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية مكون من عالمي الغيب وعالم الشهادة ويقوم على أساس حقيقة يقينية بأن الكون مخلوق الله الذي له الحكمة الكاملة والعلم والإحاطة بالكون وتدبيره في نظام دقيق ونواميس عظيمة. وهذه الحقيقة الإلهية الغيبية التي لا يمكن ملاحظتها حسيًا هي جزء أساسي من فهم الكون، وإغفال هذه الجوانب من قبل البرجماتية يجعلها قاصرة في تفسير الوجود بشكل كامل. وأما الموقف المعارض للدين هو في الحقيقة يعارض الحاجة الفطرية لدى الإنسان مما جعلهم يقبلونه جزئياً يخضع للتجربة الشخصية ومدى الأدائية.

ثانياً: يتبين من الإجابة عن السؤال الثاني ما نظرة الفلسفة البرجماتية للمعرفة في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية الخلاصة الآتية:

تنظر الفلسفة البرجماتية إلى المعرفة بوصفها أداة نفعية وظيفية، تُقيَّم بمدى فائدتها العملية، دون ارتباط بمعايير ثابتة، فتفتقر إلى الثبات، وتغفل عن الأبعاد الروحية والدينية والغايات العليا. وهذا التصور فيه خلل وقصور في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية الذي يقدم تصورًا متكاملاً للمعرفة يستند إلى العقل والوحي معًا، ويجعلها وسيلة لتحقيق غايات سامية تتجاوز حدود المنفعة المادية المؤقتة.

1.إمكان المعرفة ومصدرها: البرجماتية ترى أن المعرفة ممكنة ولكنها تنشأ من الخبرة والتفاعل مع البيئة، وتعتبر العقل والحواس أدوات لتسهيل الحياة وليس لاكتشاف الحقائق المطلقة. وفي ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية فالعقل والحواس كوسائل للمعرفة، والوحي المصدر الأساس والأعلى والضابط لها. فالمعرفة ليست مقتصرة على الخبرة، بل تشمل عالم الغيب والغير مادي، مما يوسع أفقها ويجعل المعرفة أصناف المبادئ والأسس والأحكام المستمدة من الوحي يقينية وما يأتي من معارف بأدوات العقل والحواس كل في مجاله. بينما البرجماتية ترفض الميتافيزيقا والغيب كمجال للمعرفة، ولا تعترف بالدين كمصدر معرفي. ولا تعد الميتافيزيقا والغيب جزءًا أساسيًا من المعرفة، بينما يقوم التصور الإسلامي للمعرفة في التربية الإسلامية على أساس مصدرية الوحي في تقديم الحقائق ومنها الحقائق التي لا يمكن للعقل أو الحواس الوصول إليها لقصورهما، وأتاح للعقل والحواس العمل في مجالاتهما من الكون المادي في ضوء تحقيق غاية العبودية لله وإعمار الأرض وعدم الإفساد فيها.

2.طبيعة المعرفة: المعرفة في البرجماتية نسبية ومتغيرة تبعًا للظروف الزمنية والمكانية، ولا توجد حقيقة ثابتة. يتم الحكم على صحة المعرفة بناءً على منفعتها العملية. وهذه النظرة قاصرة وعجزت عن تفسير كثير من الظواهر لقصور الإنسان بأدواته العقل والحواس عن الوصول إليها، فالأساس الفكري للتربية الإسلامية يقوم على اليقين في القضايا الأساسية والثابتة مثل الإيمان بالله والقيم الأخلاقية، ويعتبر الحقيقة المطلقة مستمدة من الوحي، بينما يقر بالتطور في

المعرفة المكتسبة بما يتناسب مع تطور الزمن .ولكن يرفض النسبية في الحقائق اليقينية المستمدة من الوحي.

3.إعلاء المنفعة المادية: تُركِّز البرجماتية على المنفعة المادية كمعيار للحقيقة، مما قد يؤدي إلى تبرير الوسائل غير الأخلاقية لتحقيق الغايات. أما في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية تُعتبر الغايات والوسائل مهمة، ويجب أن تكون الوسائل مشروعة وأخلاقية، بل لا يقبل العمل إلا بتحقق شرط النية، يقول النبي محمد ﷺ(إنما الأعمال بالنيات) (رواه البخاري)، فالرؤية الإسلامية ترى المعرفة وسيلة لتحقيق العبودية لله وإعمار الأرض وفق القيم الإلهية. والحق لا يُقاس بالنفعية بل بارتباطه بالغاية الإلهية. أما المعرفة في البرجماتية فليست هدفًا في حد ذاتها بل وسيلة لتحقيق المنفعة العملية، مما يختزل الحقيقة إلى أداة للنفع.

يتبين من الإجابة عن السؤال الثالث ما نظرة الفلسفة البرجماتية للقيم في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية الآتي:

–نسبية القيم: الفلسفة البرجماتية ترى القيم نسبيّة ومتغيرة تبعًا للظروف المحيطة، حيث يُحدد الإنسان معايير السلوك والقيم بناءً على ما يحقق المنفعة في المواقف المختلفة. ترفض البرجماتية وجود قيم ثابتة أو مبادئ أخلاقية مطلقة، معتبرةً أن القيم قابلة للتغيير مع تطور الظروف والثقافة. كما تضع البرجماتية القيم تحت إطار النقاش الحر والديمقراطية، مما يجعلها غير ملزمة وقابلة للتفاوض، بينما تُقيم التراث الثقافي على معيار المنفعة العملية فقط.

والنقد من منظور الأساس الفكري للتربية الإسلامية: القيم الإسلامية: ثابتة ومطلقة، لأنها مستمدة من الوحي الإلهي، الذي يتسم بالكمال والثبات، بعكس القيم البرجماتية المتغيرة التي تستند إلى أهواء الإنسان المتقلب. وثبات القيم في الإسلام يحقق الانضباط الأخلاقي والاجتماعي، بينما النسبية البرجماتية تؤدي إلى الفوضى والتناقض في السلوكيات والقيم.

مصدر القيم: القيم البرجماتية تنبع من الإنسان الذي يقررها بناءً على المنفعة وأخرجت الدين والأعراف كمصادر، وفي هذا خلل وقصور وذاتية وازدواجية؛ فمصدر فالقيم لابد لها من أساس مطلق تحتكم إليه، وفي ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية مصدر القيم هو الوحي الإلهي مما يمنحها صفة الثبات والإلزام والعدل.

وظيفية القيم: البرجماتية تُخضع القيم للتجربة والمنفعة العملية، وتحقيق الرفاه الإنساني فحسب بتغييب الأبعاد الروحية والأخلاقية. أما في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية فالقيم تهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع على أسس العدل والإحسان تحقيقاً لأمر الله من منطلق غاية العبودية لله وتحقيق عمارة الأرض والاستخلاف فيها بالعمران لا بالإفساد، مع الجمع بين المنفعة الدنيوية والأخروية.

إهمال التراث الثقافي: البرجماتية تتبنى موقفًا نَفعيًّا تجاه التراث الثقافي، حيث تقبله فقط إذا أثبت فائدته العملية. أما في ضوء الأساس الفكري للتربية الإسلامية يحترم التراث الثقافي ويربطه بالوحي والقيم الثابتة، مما يمنح التراث دورًا أساسيًا في الحفاظ على هوية الأمة واستمرارية القيم.

رابعاً: يتبين من الإجابة عن السؤال الرابع عن انعكاسات الفلسفة البرجماتية على المنهج العلمي الخلاصة الآتية: أن للبرجماتية أثر كبير في تطور المنهج العلمي الغربي من حيث التطبيق العملي للبحث العلمي، إلا أن تركيزها المفرط على النتائج العملية والمنفعة المادية، ونسبية القيم، يؤدي إلى أبعاد سلبية تضعف من شمولية وتكاملية البحث العلمي ومناهجه ومنها:

1.انحسار مفهوم العلم في الماديات: فما وراء العلم خارج دائرة الحقيقة وكل النتائج التي يتوصل إليها بغير التجربة والعمل لا يطلق عليها علم –كما تبين من مباحث هذه الدراسة– وهذا أدى إلى:

–حصر مفهوم القوانين العلمية على دائرة المحسوسات في المجالات الطبيعية.

– تركيز الاهتمام بالأبحاث التطبيقية التجريبية لما فيها من منفعة مع إهمال الأبحاث الأساسية والنظرية.

– استئثار الأبحاث التجريبية دون الأبحاث النظرية والأساسية بأولوية النشر العلمي في المجلات العلمية المحكمة الدولية ذات معاملات التأثير العالية لأنها بحسب ميزان البرجماتية لم تخضع للتجربة المادية ولغة الأرقام.

– الاهتمام بالمنهج الكمي والتجريبي وبالأساليب الكمية من استبانات وتحاليل إحصائية في البحث العلمي على حساب التقليل من علمية المناهج والتخصصات التي لا تخضع للتجربة المادية ولغة الأرقام.

2-نسبية الحقيقة :تُغير الحقائق والمعرفة حسب النتائج العملية، ما قد يضعف الأسس النظرية للبحث العلمي.

3-إعلاء المنفعة المادية في الأبحاث العلمية مما أدى إلى إغفال العلوم الإنسانية والاجتماعية والتراثية لغياب الفوائد المادية المباشرة.

4-التطرف العقلاني :الاعتماد المفرط على العقل والتجربة مع إهمال الجوانب الروحية والإنسانية.

5-تهميش القيم الأخلاقية :التركيز على النتائج العملية دون اعتبار للجوانب الأخلاقية، مما يفتح المجال لتبرير وسائل غير أخلاقية لتحقيق الأهداف. لذلك.

التوصيات والمقترحات:

تعزيز النظرة الإسلامية الشاملة للكون في الأبحاث والكتب والمناهج بتفسير الكون في ضوء الأساس الفكري الإيماني للتربية الإسلامية.

إعداد مناهج وبرامج تعليمية تعالج الجوانب الروحية والنفسية بجانب الجوانب المادية، لإشباع حاجة الإنسان الفطرية للإيمان بالله، وتعزيز التوازن في شخصية المتعلم.

ترسيخ القيم الإسلامية الثابتة وأهميتها مثل تصميم أنشطة تعليمية وبرامج تربوية وأبحاث، وتفنيد فكرة نسبية القيم المادية، وتوضح أن المنفعة المادية ليست المعيار الوحيد للحقيقة، بل يجب أن تكون الغايات والوسائل مشروعة ومبنية على القيم الإلهية.

وضع سياسات تربوية تُركز على القيم الإسلامية كأدوات لبناء المجتمعات على أساس العدل والإحسان، مع تعزيز دورها في تحقيق السلم الاجتماعي والتنمية المستدامة.

توجيه البحث العلمي نحو الغايات السامية والأبحاث الأساسية بتشجيع الدراسات التي تربط المعرفة بتحقيق العبودية لله وإعمار الأرض، مع التركيز على القيم الأخلاقية كأساس لتحقيق التقدم العلمي.

تشجيع النشر العلمي للأبحاث النظرية والأساسية في المجالات الإنسانية والاجتماعية، وتخصيص جوائز ومنح لتعزيز الاهتمام بهذا النوع من الأبحاث.

1.تطوير منهجيات متوازنة: بإعداد مناهج تعليمية وبحثية تُراعي التكامل بين المنهج الكمي والنوعي، مع التأكيد على أهمية الجمع بين الفائدة المادية والغايات الإنسانية والأخلاقية.

توجيه الباحثين في مجال الأصول للكتابة العلمية عن مفهوم العلم الصحيح وتوسيع دائرته فلا يقتصر على ما يأتي من التجربة المادية النفعية.

المراجع:

أحمد، المسلمي كمال الدين الحاج. (2017). حب الذات في الفلسفة البرجماتية: دراسة نقدية في ضوء التربية الإسلامية. مجلة التربية، جامعة الأزهر .مسترجع من
doi: 10.21608/jsrep.2017.105

أوزمون ،هاورد و كرافر ،صموئيل،(2005م). الأصول الفلسفية للتربية. (تعريب) العتيبي، بدر جويعد .الرياض ،مكتبة الرشد.

بدران، شبل وآخرون (2001م).الأصول الفلسفية للتربية . الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

جعنيني، نعيم. (2004م). الفلسفة وتطبيقاتها التربوية. الأردن، دار الأوائل.

الجلوي، عبدالمحسن .(1415هـ) . قضية العناية والمصادفة من الفكر الغربي، مكتبة العبيكان، الرياض .

حسان، محمد وآخرون. (1981). دراسات فلسفة التربية. القاهرة، عالم الكتب.

حسن، رفاء عبد اللطيف. (2021). الفلسفة البراجماتية .مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع143، 181 .208 – مسترجع من
http://search.mandumah.com/Record/1202640

حسين، حميدة. (2014). مفهوم الحقيقة البرجماتية. مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، 54(54)، 1421–1433. doi: 10.21608/artman.2014.150573

ربيع، محمد. (د.ت). مناهج البحث في العلوم السياسية.تم الاسترجاع من
https://shamela.ws/

سالم، أحمد البدوي سالم محمد. (2018). البراجماتية وموقفها من الميتافيزيقا. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بجامعة الأزهر فرع كفر الشيخ، 2(1)، 155–286.مسترجع من
doi: 10.21608/fica.2018.35079

سالم، توفيق مجاهد. (2016). نظرية الحقيقة في الفلسفة البرجماتية وتأثيرها على الفكر التربوي. مجلة جامعة عدن للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 36، 3–48. مسترجع من/ (https://search.mandumah.com/Record/1202640).

الشامي . (2014). البراجماتية: عرض المنهج ونقد الواقع. تم الاسترجاع من https://www.alukah.net/culture/0/77581/

الشيباني، عمر، التومي 1987م..تطور النظريات والأفكار التربوية .ليبيا، الدار العربية

العبد الكريم، فوزية. (2020). نظرية التصميم الذكي في ضوء التصور الإسلامي للوجود: دراسة نقدية. مجلة العلوم التربوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع(23)، ج2، 355–413.

العساف، صالح (1427 هـ).دليل الباحث للبحث في العلوم السلوكية ، الرياض .

أبو العينين، علي وآخرون. (2003). الأصول الفلسفية للتربية قراءات ودراسات. الأردن، دار الفكر.

فام ، يعقوب (1998).البرجماتية أو مذهب الذرائع . ط 2، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

مبروك، محمد (1410هـ). علمانيون أم ملحدون. دار الكتب.

مرسي، محمد، منير. فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها. القاهرة، عالم الكتب ،1982 م.

محمد، أحمد. (2018). الأبعاد الفلسفية للبرجماتية من خلال تحليل أفعال الكلام. مجلة العلوم التربوية، 45(2)، 127–152. مسترجع من المنظومة .(https://search.mandumah.com/Record/880800)/

محمد، أحمد. (2019). مفهوم الحقيقة لدى وليم جيمس في إطار الفلسفة البرجماتية وتأثيرها على الفكر الأمريكي. مجلة الفكر الفلسفي، 10(3)، 89–115.مسترجع من/ .(https://search.mandumah.com/Record/971023

المراجع الأجنبية

Berkovski, Y. S. (2023). Moral criticism, hypocrisy, and pragmatics. Philosophical Studies, 180(1), 1-26. doi: 10.1007/s11098-023-01793-2

Dewey, J. (1916). *Democracy and Education*. New York: Macmillan.

Dewey, J. (1929). *The Quest for Certainty: A Study of the Relation of Knowledge and Action*. New York: Minton, Balch & Co.

Dewey, J. (1934). *A Common Faith*. New Haven: Yale University Press

Dewey, J. (1922). *Human Nature and Conduct: An Introduction to Social Psychology*. New York: Henry Holt and Company.Hookway, C. (2023).

Pragmatism and Correspondence*. Philosophia. doi: 10.1007/s11406-023-00527-3
Philosophical Studies, 180(1), 1-26. doi: 10.1007/s11098-023-01793-2
Hookway, C. (2023). Pragmatism and Correspondence*. Philosophia. doi: 10.1007/s11406-023-00527-3 Stanford Encyclopedia of Philosophy. (2020). *Pragmatism*. Retrieved November 30, 2024, from https://plato.stanford.edu/entries/pragmatism/
James, W. (1907). *Pragmatism: A New Name for Some Old Ways of Thinking*. New York: Longmans, Green, and Co.
James, W. (1902). *The Varieties of Religious Experience: A Study in Human Nature*. New York: Longmans, Green, and Co.